**العلمانية**

ليست العلمانية مذهباً فلسفياً، بل مذهب قانوني سياسي بالدرجة الأولى ، ولكنها غير منقطعة الصلة بالفلسفة ، لأنها في جانبها النظري نتاج للنظر العقلي ولانها في جانبها العملي تنبثق عن جملة ممارسات واشكاليات تتصل بعلاقة الدين والدولة ، بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، وفي التحليل الاخير بين الثيولوجيا والانتروبولجيا أي بين الالهيات والإنسانيات .

**ولعل أوضح تعريف للعلمانية هو ذلك الذي ورد في مناقشات المجلس الفرنسي الدستور عام 1946،موكداً فيه** " أن العلمانية هي حياد الدولة تجاه الدين ، كل دين". واستحداث كلمة العلمانية في القرن التاسع عشر يعني أن المشكلة لم تكن مطروحة في ظل الحضارة العربية الاسلامية ، والواقع أن إشكالية العلمانية هي تاريخياً إشكالية غربية ، وفي المقام الأول فرنسية . فقد اتفق خصوم العلمانية في الساحة الثقافية العربية المعاصرة أنها رأت النور في الغرب وتحديداً الغرب المسيحي حصراً : الصراع اللاهوتي والسياسي الذي أخذ شكل حرب متوالية الحلقات دامت ثلاثين عاماً بين الغالبية الكاثوليكية والأقلية البروتستانتية . وفي هذا الجو وبسبب الانفتاح على الغرب بدأت استجابة المثقفين وذلك ضمن اتجاهين متباينين : الاتجاه التقليدي الداعي الى أخذ موقف سلبي من الغرب ، والاتجاه الثاني يضعنا مباشرة أمام تيار الأفكار التي برزت في هذه الفترة ، والتي ننسبها الى الاتجاه العلماني .

**فالعلمانية ذات مفهومين : الأول** يعني عدم إسناد مركز إداري ، إلا لمن تحلى بصفات علمية ، تخوله القيام بواجباته الفنية خير قيام . مثل تلك تفهم العلمانية كاحترام للكفاءات العلمية في ميادين التخصص.

**الثاني** يعني تحبيذ العلم على الدين ، الذي يجب إلغاؤه بالتالي من فلك الانسانية ، كما لوكان بينهما تناقضاً أساسياً . مثل تلك تفهم العلمانية كنظرة فلسفية في الوجود . إذا فهمنا العلمانية على أنها مذهب في الحياة يرمي الى اقصاء الدين عن مجالنا البشري ، وقعنا في مغالطات الشيوعية ، أي عدنا الى مبدأ الدين عينه ، ولكن بشكل مقلوب . إذ ذاك تصبح العلمانية ديناً ، نحارب في سبيله لأنه لا يمكن القضاء على الدين إلا بدين آخر .

**ومن رواد هذا الاتجاه ( شبلي شميل )** الذي يحكمه مبدأ أساسي " الحقيقة أن تقال لا أن تعلم فقط " . وقد حمل شميل على فساد رجال الدين حملة عشواء ( المسلمين والمسيحين ) إذ يقول : " يامقلنسي الجهل ومعممي الظلال أين رأيتم في أديانكم مايسمح لكم بأن تزرعوا رؤوس اتباعكم الجاهلين التفريق بين الناس الى حد التباغض والتقاتل ".

فشميل كان يعشق الحرية ويكره الاستبداد في ايه صورة ويرفضه مهما كلفه ذلك من ثمن . وهو يوجه حديثه الى الملوك قائلاً : " مهلاً سادتي الجالسين على عرشكم العالي وبيدكم صولجان المجد والقوة فلا يغضبكم انذاري ولا تقنطوا من حكم الدهر وقد عدل ، فلكم صبرنا على مضض ..." . واذا كان يهاجم أسس الاستبداد فأنه ينير الطريق الجديد الذي يدعو له وهو طريق الجمهورية ، وطريق الثورة .

فالجمهورية التي يريدها " الجمهورية الحقيقية التي يتم فيها توزيع الاعمال على قدر المنافع العمومية بحيث تتوفر معها المنفعة لكل فرد في الاجتماع بدون أدنى تمييز مطلقاً جمهورية تصبح فيها الأمة الكل والحكومة لاشي ..." . والثورة التي يريدها " ان تكون الثورة صادرة عن استعداد باطن كانها اتفاق خفي بين اعضائه موافقة لامياله اي ان تكون عبارة عن صوت الشعب لكي تكون قانونية والا انقلبت شراً عليه . والثورة التي تكون لذلك هي ثورة لا تغلب ولا تقاوم لا نها ليست من افعال الاحاد بل هي عبارة عن تخلص الجسم كله مما ثقلت وطأته عليه تخلصاً طبيعياً قانونياً . وبهذا يمكن القول أن شميل كان رائد العلم الطبيعي بغير منازع .